اساليب منع السل

خطبة الاستاذ بروردل رئيس مدرسة باريس الطبية تلاها في مؤتمر السل في ٢٤ يوليو

ان عدد المتوفَّين بالسل يختلف باختلاف البلاد فقد كان في بعضها سدس الوفيات وفي بعضها الخمس وفي البعض الآخر الربع — فتلك ذريعة مثل هذا اضطر كل الامم والحكومات ان تدقق البحث عن الوسائل المانعة انتشار هذا الداء المميت الذي هو الدُّ اعداء الانسان ومن العجيب ان صوت الإنذار بهذا الخطر العظيم اقتضى قروناً كثيرة حتى سمعهُ الناس وان اجدادنا بقوا القرون الطوال ينظرون الى هذا الداء الوبيل المحيق بهم غير مكترثين لهُ ولا مهتمين بهِ

وكان لهذا الاهمال او عدم الاكتراث اسباب عديدة . فقد اعتبروا ان الاهتمام بامر هذا الداء عبث لانهُ داء عياء لا ينجع فيهِ دواء ولا يُعرَف كيف ينتشر . وبالغوا في بعض ما شاهدوهُ من امرهِ فحكموا انهُ وراثيٌّ واسترسلوا الى هذا الحكم واتخذوهُ وسادة للتراخي والتقاعد عن البحث والتفتيش عن اصلهِ . والملاحظات المبنيَّة على الاختبار اعتُبرت كأنها حكايات عجائزية فقد روى الطبيب مورغاني انهم كانوا في ايطاليا في القرن السابع عشر يحرقون امتعة الذين يموتون بالسلّ خوف العدوى وهذا الطبيب نفسهُ قال صريحاً عن نفسهِ انهُ كان يتهيب فتح رمَّة مسلول خوفاً من سريان العدوى اليهِ . ولكن لما قام فلمن في مدرسة الطب في ٥ دسمبر سنة ١٨٦٥ وأجرى تجارب وامتحانات برهنت وجود العدوى حقيقةً وجاء بعدهُ رصيفنا الشهير الاستاذ روبرت كوخ واكتشف واثبت للاطباء وجود المسبِّب لهذه العدوى حينئذٍ شعر كُل واحد بانفتاح باب جديد للفرج وارتاحت كل امَّة الى الاستفادة من الخير العمومي المبني على هذه الاكتشافات العلمية الحديثة . وقبلما شُهِّر اكتشاف العالمين اللذين نوهتُ بهما الآن كان الشعب الانكليزي قد تحفَّز لتلافي الخطب ونهض للعمل واذ تحقَّقوا بالاختبار ان السلَّ تطيب لهُ الاقامة في الاماكن المظلمة الرطبة حيث يشري شرُّهُ ويزداد فتكهُ سنُّوا سنَّة منذ سبعين سنة بوجوب بناء المنازل على قواعد صحيَّة . ومنذئذٍ لم تفتر همتهم ولا كلَّت عزيمتهم بل سنُّوا عشر سنن أُخرى واصلحوا بيوت الفقراء والمعامل والمدائن والمملكة كلها . وهذا العمل الخطير وسُم باسم جلالة الملكة التي عُنِيَتْ بإنفاذهِ فسمي عصرهُ عصر ڤكتوريا وكفاها بهِ اجلالاً وتكرمة . واني باسم جميع مواطنيَّ المجتمع زملائي من الشعب الانكليزي في اتخاذ هذا الاسم الاثير واطلاقهِ على الجهاد الصادق الذي قضي سيفي هذا السبيل والنجاح العظيم الذي نتج عنهُ فقد قلتم وفيات السل في البلاد الانكليزية اربعين في المئة فلكم الفخر

بذلك وما علينا الا ان نقتفي خطواتكم

وقد اقترح عليَّ أن اخطب في الاساليب التي اتخذتها الأمم منعاً لتفشي داء السلّ فلبَّيت الدعوة ووددتُ من كل قلبي ان اعمل مرضاة زملائي الفضلاء ولكن لسوء الحظّ يصعب عليَّ الحصول على التقارير الصحيحة في هذا الشأن . والوقت المعين لتمحيصها أقصر مما يطلبهُ هذا الموضوع المهمّ فاخاف انَّ كلامي لا يخلو من الايجاز الكثير ومن الغلط ايضاً على اني أُسرُّ بأن أُنبِّه الى ذلك وارجو من زملائي ان لا يبخلوا عليَّ بهذه المنَّة فتدرك رغائب اللجنة وتصبح كل امَّةٍ باطلاعها على ما فعلتهُ جاراتها مرتاحةً الى المنافسة والمسابقة في ما يعمُّ نفعهُ وتجمل فائدتهُ

ايها السادة ان الاسباب المبني عليها منع السلّ هي واحدة في كل بلاد وعليها اجمع اطباء العالم . فالسلُّ يسهل اتقاؤهُ ويمكن شفاؤهُ : والوسائط المتخذة لتحقيق هذين الامرين هي هي في كل البلدان ولكن بعض الأمم نالت فيها الاسبقية بهمة علمائها المحرِّضين على ذلك والمشوِّقين اليهِ وفضل حكومتها المنفذة لقوانينها الآمرة بهِ

فاستأذنكم في الالتفات الى سنِّ القوانين الصحية . اذا كان القانون يعترض اعمالنا اليومية ويناقض عاداتنا الراسخة ويقتضي مع ذلك ان ينفَّذ في بيوتنا لا يستطاع تنفيذهُ ما لم يطلبهُ الرأي العام ويقنع الجميع بفوائدهِ ويتحقق كل انسانٍ خطر العادات الرديئة ويصبح مستعدًّا بنفسهِ لاصلاحها والطلب الى جارهِ ان يأخذ مأخذهُ ويجري مجراهُ . هذه هي حقيقة الحال في انكلترا وأراها افعل واسطة للاصلاح العامّ . فاول ما ندعو الحال اليهِ تنبيهُ الرأي العام وتهذيبهُ ولعلكم تسألونني كيف نجح تنبيه الرأي العام الى مضادة السلّ ومقاومتهِ . فقد انشأتم في انكلترا سنة ١٨٩٩ برئاسة سمو البرنس اف ويلس (جلالة ملكها الحالي) جمعية وطنية لمنع السلّ وغيرهِ من الامراض التدرنية . وكان غرضها اجراء المنع بواسطة تهذيب عامة الشعب ونشرتم مجاناً كراريس في هذا الموضوع منها " الجهاد ضد السل " و"اللبن والتدرُّن" و" الهواء النقي واطلاقهُ " و" كيف يمنع السلّ " الخ . وقد تألفت تلك الجمعية من رجال في مقدمتهم الرجال الذين فتحوا هذا المؤتمر . والمانيا أسَّست جمعيات لاجل بناء المصاحّ (الملاجئ الصحية) وجمعيات أُخَر لاجل نشر هذا الرأي وجعل التدابير الصحية من الامور المألوفة . وهي صغيرة ومنتشرة في البلاد وتطبع كراريس تنشرها لافادة العامة . وفي البلجيك عُقدت محالفة على السل مقرها في بروكسل ولها في كل مقاطعة فرعٌ مستقلٌّ . وفي نروج اقرَّ مجلس الامة على انفاق ٤٠٠٠٠ ريال على طبع وتوزيع كتاب موضوعهُ السلّ تأليف الدكتور كلدس هُسن . و ٢٠٠٠ ريال تعطى لفريق من الاطباء نفقة سفرٍ الى حيث يتمكنون من الالمام بادارة المصاحّ (الملاجئ

الصحية) . وفي فرنسا انتخبت جمعية مقاومة السلّ بالتعليم العمومي التي بادارة الدكتور بيرو كلّ من رأته قادرًا على التعليم ومسموع الكلمة نظير لافيس وماتينون وفكتورين وساردو ولاندوزي وغيرهم . وكثيرون منا خطبوا على الجماهير واوضحوا لهم قوانين التوقي حتى كادت تعمّ النهضة لمقاومة السلّ . وقد تذرعتُ بمنصبي كرئيس للمجمع الصناعي الى نشر التعليم العمومي في باريس . وفي هذه السنة ألقي ٨٨ خطابًا في السلّ على ١٢٠٠٠ نفس . وهكذا اخذ العامة في كل بلاد يتحققون بالتدريج شدة ضرورة الاعتناء والنظافة الشخصيين لمنع العدوى وان المسلول لا يكون منهُ خطر الاّ اذا لم تؤخذ لهُ الاحتياطات اللازمة ولم يعتنِ هو نفسهُ برقاية اقربائهِ واصدقائهِ ورُفقائهِ من العدوى

ولا يجوز ان تُشرّب القلوب شدة كراهة السلّ ونبذ المسلول . فقد كان المسلولُ قديمًا يعيش اشهرًا عديدة بدون ان يُعدي زوجتهُ واولادهُ . والخطر في اللعاب او النفث الذي يحتوي على الوفر من الجراثيم المعدية . والنفث او البصق على الارض عادة قبيحة كثيرة الخطر . وبزوال هذه العادة يقلُّ انتشار السل على الفور . اما فعل النفث في نشر السل فيختلف باختلاف الاحوال ودرجات السل فاذا جُمع البصاق في مبصقة خاصّة او مبصقة عامة ولكن فيها مواد مضادّة للفساد او أُتلف بحرقهِ او غير ذلك من الوسائط لم يعد فيهِ من خطرٍ على احد . واذا أُلقي في ارضٍ ناشفةٍ معرّضة لاشعة الشمس يفقد خواصّهُ الضارّة . اما اذا بقي في ارض رطبة مظلمة يحفظ قوتهُ الى وقت طويل وهكذا يرتاد فرائسهُ في الاماكن المظلمة الرديئة الهواء والخالية من النور

وهذا الامر قد اصبح معروفًا عند كل الأُمم لكنّ الفضل الاعظم لانكلترا التي تنبّهت على هذه الحقيقة المهمة قبل غيرها وتوفقت الى حلّ هذه المسألة الخطيرة على وجهٍ مختصٍ بها . واذ عُلم ان المساكن التي لم تُراعَ فيها الشروط الصحّية تُعين على انتشار هذا الداء الوبيل سُنّت القوانين القاضية بهدم مثل هذه المساكن وبناء المساكن الموافقة للصحة

فقد سنتم منذ عام ١٨٣٦ قوانين لبناء المساكن الصحية وهذا الحرص من الحكومة شوّق اهل الخير والاحسان الى الاشتراك في هذا العمل المبرور فقام منهم اناسٌ ينبغي ان تظلّ اسماؤهم مذكورةً بالخير لدى المهتمين بحفظ الصحة العمومية

اما في المانيا فلم يهتم الجمهور بهذا العمل الاهتمام الواجب لكنّ الامة البلجيكية كانت من اشدّ الأُمم غيرةً على العناية بشأن المساكن الصحية . وفي الدنمرك بلغت جمعيات المباني الصحية غاية التقدم وسنة ١٦٠٠ جعل الملك خرستيان الرابع نفسهُ مثالاً بأن بنى بيوتًا بجنّاتٍ وجعلها

مساكن لخدمته. على ان جراثيم السلّ اذا وقعت في بيت رطب مظلم تحتفظ بقوتها ونشاطها وقتاً طويلاً سواء كان ذلك البيت في المدينة او في الاماكن المحيطة بها حيث يكون السكان مزدحمين. وليس غريباً أن نرى في باريس في غرفة واحدة خمسة اشخاص او ستة او ثمانية واحياناً اثني عشر شخصاً ساكنين معاً. وفرص العدوى تكثر بهذا السبب وحده وزد عليه قذارة السكان وعدم امكانهم ان يعتنوا بالنظافة المطلوبة

فتتولد بعض بؤر السلّ في تلك المساكن وتشن الغارة على غيرها فان الفعلة والخدمة يحملون الجراثيم الى معاملهم ومصانعهم ويجعلون المدينة مقرّ العدى. لكني هنا ينبغي ان انتبه على حقيقة مهمة واحذر فلا اركب متن التغرير والتضليل. فالمدينة لا تكون موبوءة كلها بل يختلف عدد الوفيات بالسلّ في احياء ملاصقة بعضها لبعض اختلافاً بيناً. ففي احياء باريس يختلف عدد المتوفين بالسل من ١٠ الى ١٠٠ في كل ١٠٠٠٠ ساكن وفي كل حيّ مرتع خصيب لجراثيم السل. فهذه علينا أن نكتشفها ونقوّضها ونزيلها. وفوق ذلك ايضاً يجب الاحتراز من بناء منازل جديدة مخالفة للقواعد الصحية لانها تكون خطراً على المدينة والبلاد. وفي اكثر المدن الآن نرى رسم البيوت خاضعاً لقوانين بلديّاتها الصحية وهو احتياط ضروريّ جدًّا لا صرامة فيه مهما بولغ في انفاذه. هذا وانّ مضار المسكن الذي لم تراعَ في بنائه التدابير الصحية لا تنحصر في خطر العدوى المشار اليها. فان الحاجة الى النور والهواء تؤثر في تغذية سكانه فيهزل الاولاد ويعجز الاقوياء عن المقاومة ويصبح كل ساكن في مثل هذه البيوت عرضةً لتطرّق الامراض المعدية اليه. واذا قصرنا نظرنا على السل رأينا ان هذه المساكن تعد الناس لهُ وتجعل اقواهم كما لو كانَ مولوداً من ابوين مسلولين. فالنظامات الانكليزية والالمانية والايطالية والفرنساوية وغيرها مما اشرت اليه قبيل هذا سديدة صحيحة ويجب ان تنفّذ على الدوام خصوصاً عند ما يعرض الميل الى حشد الجانب الاعظم من السكان في المدن وعند ما تراعى الاسباب الصحية في المدن تضمن الصحة في البلاد كلها. والمساكن التي لم تراعَ فيها اسباب الصحة تسبب بلايا أُخر لانها اذ تكون مظلمةً ومزحومةً فالنظافة يصعب حصولها فيها ان لم نقل يتعذر ولا يرى اهلها ما يستميلهم الى قضاء الوقت فيها ولذا قلما يمكث العامل في بيته. نعم انهُ يأكل وينام فيه ولكنهُ يقضي باقي وقته في الحانات. ولقد صدق جول سيمون بقوله " ان منازل الفقراء مصادر الحانات " ولنا ان نزيد عليه ان الحانات مصادر السل. وبالحقيقة ان ادمان المسكرات اعظم عامل على انتشار السل واقوى انسان متى اعتاد المسكر اصبح ضعيفاً جدًّا وعاجزاً عن مقاومة هذا الداء

ويجوز في الوقت لأتكلم عن القوانين المسنونة لاجل كبح جماح هذا الشرّ المستفحل وردّ تيّار هذا الآفة الطاغية . لكني اقول ان صراخاً عاماً من اقصاء المصور ينذر بالويل والثبور ويشير الى آفات المسكرات فكلّ وسيلة او واسطة مأخوذة من حكومة او فرد من افراد الرعية لتقليل اضرار المسكرات تكون اكبر عون لنا على هذا الجهاد المشروع فيه ضدّ السل على انّ هذه المسألة اكبر من ان نبحث فيها هنا ومع ذلك اودّ التنبيه على خطأ كثيراً ما يرتكبهُ وزراء المالية في بلدان مختلفة . فانهُ يحلو لهم ان يذكروا المبلغ الذي تفرضهُ الحكومة ضريبة على المسكرات لكنهُ يجب عليهم ان يطرحوا منهُ ما تكبدهُ الامة من الخسارة بكل عائلة سكير تحكّم به التلف والخراب وترك لها اولاداً فاسدي الاخلاق فنحطي الشأن عرضة للادواء الوبيلة والامراض المعدية كالداء الخنازيري والصرع وغيرهما وفي حاجة شديدة الى كل شيء . ان هذه الغارة الشعواء التي يشنها المسكر ينبغي ان يعتبرها كل واحد خطراً عاماً طارئاً . وهذا الحق الصريح الذي لا ريب فيه ويجب ان يكون معلوماً عند كل انسان هو أنّ مستقبل العالم في ايدي اهل الصحو والاعتدال الذين يعافون المسكر . والمخاطر المحيطة بإنسان في بيت مصر بالصحة هي نفس المخاطر المحدقة بمن لاجل عمله او واجباته او مسرّته او لسبب مرض او امر آخر يمكث يوماً او جزءاً من اليوم في مكان ازدحمت فيه اقدام كثيرين غيره وازدادت الاسباب المضرة بالصحة . فان كان ذلك الانسان مصيحاً فالخطر عليه من رفقائه . وان كان مريضاً فعليهم الخطر منهُ . وهذا الخطر من مخالطة الناس الذي لا بدّ منهُ في عصر التمدن يزداد كل يوم فهو الجزء المفروض وبه يعلل انتشار السل المخيف . وبهذا الاعتبار نُظر في امر اولئك الذين أُعدّوا للمرض بالوراثة العائلية ورداءة مساكنهم فكان من الواجب في بعض البلدان ان يُسعى في تقوية هؤلاء المنكودي الحظ ويُؤهّلوا لصد هجمات الخطر الذي يتهددهم .

ولقد اصاب من قال ان الحداثة والشيبة يسهل فيهما التأثير على الانسان اكثر مما في غيرهما من اطوار الحياة وانّا مدينون لبعض المدن والافراد في ايطاليا وفرنسا وغيرهما من البلدان التي هزّتها الاريحية لبناء مصاحّ (ملاجئ صحية) على الشواطىء البحرية للاولاد الضعفاء ففي فرنسا ١٤ مصحّاً يأوي اليها سنوياً اكثر من ٢٠٠٠ ولد وقد نتجت عنها نتائج حسنة . وليؤذن لي هنا ان اقول اننا مدينون بهذا النجاح للهمة والنشاط المبذولين من لدن استاذنا الجليل الدكتور برجرون . Bergeron وقد نحت بعض البلدان هذا النحى فانشأت مصاحّ ترغب الناس في قضاء اوقات العطلة في السواحل البحرية او الاماكن الجبلية . وكل ما عمل من هذا القبيل بواسطة اهل النجدة والإحسان يعين على انقاذ المساكين من مخالب العدوى .

وسنة ١٨٩٣ انشأت مدام هرفيو في سيدان حدائق عمل للاولاد والشبان ووالديهم ومساحة هذه الحدائق اكثر من الفي متر مربع تسع ٣٢١ عائلة مؤلفة من ١٢٥١ نفساً . والجمعية تمدُّ كلاً عائلةٍ بما يلزم لها من الادوات والبذار والسماد . وسنة ١٨٩٤ اقام الاب فولبّتّ بساتين للعمل في سنت اتين مساحتها نحو ٤٢ فداناً تسع ٤١٠ عائلات مؤلفة من ٢٤٦٠ نفساً ويوجد من هذه البساتين في برسي وبعضها انشئ حديثاً في فونتنبلو وفلرباين بقرب ليون

وقبل النظر في مسئلة شفاء السل اتكلم ولو بغاية الايجاز على الوسائط المتخذة لمنع عدوى السل بالطعام . فمنذ ما اوضح شوفو ان جراثيم التدرُّن التي تكون في الطعام تولِّد تدرُّناً في الامعاء انصرفت العناية الى منع اكل اللحم واللبن من الحيوانات المسلولة . اما من جهة اللحم فمراقبة المسالخ في المدن الكبيرة تقضي هذه الحاجة . وفي البلجيك نرى هذه الواسطة مرعيَّة الإجراء في الارياف ايضاً لكنني لا اعرف مملكة اخرى تفتَّش فيها المجازر الخاصَّة حيث تُذبح البقر المسلولة والخنازير المصابة بالحصبة والحيوانات المختلفة الامراض ومع ذلك تترك الحيوانات من غير فحص ويؤكل لحمها الضارّ طرياً او نطائر او مقانق لم تنزع منها الاحشاء المتدرنة . ومما لا يصح الاغضاء عنهُ نقل اللحم من بلد الى آخر فان قطع اللحم ترد من الارياف الى الباعة في المدن من غير ان تفحص . ولا يصحُّ الاغضاء عن نشر السل بواسطة اللحم كما لا تصحُّ البالغة فيهِ . ولكن في طاقة الحكومة ان تقي شعبها منهُ . وقد تقدمتنا حكومة البلجيك فكانت لنا خير مثال

وليس من ريب في ان بعض اللبن الذي يشربهُ الناس هو من بقر مصابة بالتدرُّن في ضروعها . وقد اشار الهجيني الانكليزي الشهير السر رتشرد ثورن الى ان عدد الوفيات بالسل بين البالغين في انكلترا قد تناقص منذ سنة ١٨٥٠ نحو ٤٥ في المئة ثم تأسَّف على أنهُ رأى عدد الوفيات بالداء المذكور بين الاطفال زاد من ذلك العهد ٢٧ في المئة . وعندهُ أنَّ هذه الزيادة نشأت عن تدرُّن الامعاء بسبب شرب الاطفال من ابن سنة فما دون لبناً تشوبهُ العدوى لان البقر في انكلترا لا تُفحَص . أمَّا في فرنسا فالظاهر ان النظام يجيز مراقبة البقر ومقاليدهُ في ايدي حكام المدن لكنَّ هؤلاء لكي يُنفذوا القانون ينبغي ان يبلغهم خبر البقر المصابة في ضروعها وهذا انما يستطيعونهُ اذا اخبرهم بهِ البقَّارون (اصحاب البقر) وهؤلاء لا يعلنون ذلك الاَّ متى جفت الضروع ولم يعد فيها من خطر يتهدَّد الغير . وليس بخافٍ ان اللبن في الغالب يكون مزيجاً من بقرات متنوعةٍ ولبن بقرةٍ واحدةٍ مصابةٍ بالتدرُّن يكفي لافساد المزيج كلهِ . فلدرء هذا الخطر ينبغي اعتماد وسائل الفحص المدقق والمراقبة المستمرَّة كما

هو جارٍ منذ سنين عديدة في بلاد الدنمرك واسوج ونروج . وربما تحقق هذه الامنية يجب التذرع الى رفع الخطر باغلاء اللبن قبل شربهِ وهذا الامر ينبغي اذاعتهُ وتعميمهُ بالرغم عما ارجف البعض بقولهم ان اللبن المغلى قليل الغذاء صعب الهضم

واذا أُصيب انسان بالسل وجب بذل المستطاع لاجل شفائهِ لانهُ يمكن ان يشفى وليس من ريب في هذا الامر . فمن اختباري الشخصي في معرض الجثث في باريس حيث اشرح غالباً جثث المتوفين غرقاً استطيع القول انهُ في نصف الحوادث — هذا اذا كان الميت سكن باريس منذ نحو عشر سنين — وجدتُ آثاراً تدلُّ على ان الميت اصيب بالسل وشفي منهُ . ومن الواضح ان الذين فتحت رئتهم في الملاجيء والمستشفيات ومعرض الجثث لم يتخذوا شيئاً من الاحتياطات التي نحسبها ضرورية . وبالرغم عن عوائدهم القذرة المضرَّة كانت بنيتهم قوية على صدّ غارات الداء . ولهذه الآثار التشريحيَّة معنى آخر وهو انها تدل على ان السل كان متقدماً فيهم جدًّا . فالسل يقبل الشفاء حتى في اقصى درجاتهِ وهذه حقيقة مصدقة من مشاهير الاطباء . وقد قال غرانشهِ " ان شفاء المسلولين ايسر من شفاء المصابين بباقي الامراض المزمنة "

وبما انَّ شفاء المسلول ممكن فمن الواجب ان يُبْذَل الجهد في تحقيق ذلك . واذا اقتنع الطبيب بشفاء مريضهِ تغير التفاتهُ الى هذا الداء . اما قبلاً فإذ كان قانطاً من انهُ يستطيع عمل شيء لمريضهِ لم يكن يجسر ان يخبر المريض ولا اصدقاءهُ بطبيعة المرض . اما الآن وقد صار الشفاء ممكناً فصار يعامل المريض بعكس المعاملة السابقة . واذا صح انهُ يمكن الشفاء من السل في كل درجاتهِ فمن باب اولى يكون الشفاء ممكناً اذا تحوَّط المرء من بادىء الامر قبلما يتمكن السل منهُ اي حينما تكون المقاومة في جسمهِ قوية . ولا بدَّ للطبيب من ان يخبر المريض وعائلتهُ انهُ مصاب بمرض منهُ خطر شديد ولكنهُ يقبل الشفاء ولا يستطيع ذلك ما لم يكن قادراً ان يخبر المريض بافضل طرق العلاج العلمية التي يستخدمها

وما هي افضل الطرق وكيف يتمُّ اجراؤُها في البلدان المختلفة . ففي هذا الخطاب اقصر بحثي على المرض من حيث فعلهُ بالفعلة والمستخدمين . والعلاجات التي يشار بها فيهِ تختلف بحسب الدرجة التي بلغها المرض وكون المريض غريباً او متزوجاً او ربَّ عائلة . ولهذا الداء ثلث درجات محدودة . ففي الاولى يعمل المريض ويصاب بالزكام فماذا يعمل في الغالب . اما انهُ لا يكترث للامر او انهُ يبتاع من الصيدلي دواء ليزيل السعال . وتمرُّ الايام والاسابيع والاشهر فان اشتدت وطأة البرد تسوء حالهُ وان اعتدل الهواء تتحسَّن قليلاً . ولا تلبث ان

تنوبهُ اعراض شديدة ثم تصيبهُ الحمَّى والنحول فيضطر ان يترك عملهُ ويظن ان مرضهُ ابتدأ منذ الآن ونحن نعلم انهُ يكون قد وصل الى الدرجة الثانية وان المعالجة صارت ضرباً من العبث في الغالب . اذًا تهمنا الدرجة الاولى من هذا المرض حين تكون المعالجة مفيدة . فبأيّ شيء نستطيع ان نفيد المسلول في الدرجة الاولى

ففي المانيا مستوصفات متعددة للمسلولين في المدن الكبيرة منها حيث يكون الطبيب مجهزًا بالادوية اللازمة ومستعدًّا لمشاهدة المرضى الذين يأتون اليهِ . وهناك لجنة مؤلفة من رجال البرونساء الاحسان تفتش عن المسلول في بيتهِ وتخبر زوجتهُ بما ينبغي ان تفعل لهُ وتساعدها على حفظ البيت نظيفًا وتنظر في اعداد اساليب الوقاية وتقدم لهُ ما يقوم بمعيشتهِ ومعيشة اهل بيتهِ . وقد اشار المسيو كالمت بذلك سنة ١٨٩٩ وزاد عليهِ انهُ عوضًا عن ان ننتظر المسلول ليأتي ويستشير الطبيب نذهب اليهِ نحن وندعوهُ الى ذلك دعوةً ونعرض مساعدتنا عليهِ قبلما يشعر بانهُ في خطرٍ . قال واود ان اكتشف التدرن حالما ينشأ واتمكن من ارشاد المصاب بهِ الى استعمال الوسائط الضرورية وهو باقٍ مع عائلتهِ غير مضطرٍ الى مفارقتها . وقد اخرج كالمت هذا الامر من حيز القوَّة الى الفعل فانهُ انشأ صيدلية مجانية للعلاجات المضادة للسل في لِلْ سماها اميل روفنجحت نجاحًا عظيمًا وقد اسس الدكتور بونه محلاً اشبهَ بهذا في باريس في حي مونت مارتر وأخذ في بناء اماكن اخرى من هذا النوع . وقد تبين بالاختبار ان الفعلة لا يأنفون المجيء الى هذه الاماكن بعضهم لداعي السعال والبعض لشعورهم بالداء . وعندي ان افضل طريقةٍ يُثار بها هذا الداء من مكمنهِ هي ان يقام على الفعلة رقباء ووكلاء يلاحظون رفقاءهم حين يسعلون وينصحون لهم ان يذهبوا الى حيث يعالجون واذ يرسخ في اذهانهم ما في وساخة المعامل وساحاتها من الخطر يرتاحون من تلقاء انفسهم الى الدأب على حفظها نظيفةً وهكذا يتعلمون مقاومة هذا الداء العياء . والذين يأتون الصيدلية يصادفون عناية كبيرةً من الاطباء ويُخبرون ان هذا الداء ينتشر بالبصاق وادمان المسكرات . ويُعتنى بهم ويعطون مرق اللحم مرَّة او مرَّتين في اليوم كما تسمح الاحوال . وتُمَدُّ يد المساعدة لعيالهم وتُراعى الشروط الصحية في بيوتهم

وبعض هؤلاء المرضى ينبغي ارسالهم الى المصاحّ فان كان المريض عزبًا ويمكن ارسالهُ الى واحدٍ منها فذلك اضمن لشفائهِ . اما ذهاب المتزوج فيتطلَّب الاعتناء بامرأتهِ واولادهِ مدة غيابهِ لكي لا يشغل بالهُ بهم ولا يقلق لاجلهم

وليس من غرضي البحث عن بناء المصاحّ وتدبيرها . ولكن ينبغي ان نذكر فقط انها يجب

ان تكون منفردة لا تتطرق اليها عفونة ولا فساد حسنة الترتيب المعالجة فيها بالراحة الطبيعية والادية والغذاء الكثير والهواء النقي

وهذه الطريقة قد اتبعت في المانيا بارتياح ونشاط لا مزيد عليهما وقد ساعدت الحكومة فضلاً عن أهل الخير والاحسان على تأييد هذا العمل العظيم متحققة فائدته العظيمة. وفي المانيا الان ٨٣ مصحًّا عموميًّا مفتوحًا او على اهبة الفتح وهي تسع ١٢٠٠٠ مريض سنويًّا. انشأتها شركات الضمانات وبنوك المرضى والمعامل التي تكاتفت على تأسيسها لفعلتها ومستخدميها ووضعت ضريبة في بعض الاماكن وهي طفيفة من نصف غرش فاكثر على النفس. وقد بنت الحكومة عدة مصاحّ لمأموريها واقرّت لجنة المالية في مجلس النواب ان يبني مصحّ للحكومة تحت ادارة وزير الداخلية. والمعالجة تقتضي ٩٠ يومًا على الاقل وقد علم بالاختبار انهُ يجب بالمرضى ان يقضوا في المصحّ شهرًا آخر من السنة التالية

وكان من الذين غادروا المصاحّ وهم قادرون على العمل ٤٦ في المئة سنة ١٨٩٦ و ٤٧ في المئة سنة ١٨٩٧ و ٥٨ سنة ١٨٩٨ و ٦٠ سنة ١٨٩٩. وكانت نفقة المريض في اثناء الاشهر الثلثة ثمانية فرنكات يوميًّا وهي تشمل ما ينفق على عائلته وهو نحو ثلث المبلغ. وهذا المنهج الذي انتهجتهُ المانيا كان مثالاً لغيرها. فبنت انكلترا وسكوتلندا واوستراليا وكندا بعض المصاحّ. وخصص اهالي الولايات المتحدة اقسامًا من مستشفياتهم بالمسلولين وانشأوا ثلثين مصحًّا صغيرًا. وبنت جمعية الاباما مصحًّا للمسجونين ونظارة البحرية مصحًّا آخر للتجّارة وفي نيويورك الآن ستة مصاحّ. ووهب ملك اسوج المبلغ الذي جمع لهُ في يوبيلهِ وهو ٢٣٠٠٠٠٠٠ ريال لاجل بناء ثلثة مصاحّ وعين مجلس امتهِ ٨٠٠٠٠٠٠ ريال لهذه الغاية واعطت الحكومة الارض اللازمة لهذه المصاحّ الثلثة وشيدت فرانسا عدة مصاحّ وشعرت كل الامم باهمية هذا الامر الخطير واخذت تقتدي بعضها ببعض في اتمامهِ وسيأتي وقت لا يترك فيهِ المسلول وشأنهُ بل يجد اذا كان بعدُ في الدرجة الاولى من مرضهِ انهُ لا يزال لهُ رجاء بواسطة العلاجات والمداواة

واذا كان المسلول قد تجاوز الدرجتين الاوليين حينما يطلب الدخول في المستشفى لا يجوز قطع الامل من شفائهِ بل يقبل ويوضع منفردًا لكي لا ييأس مما يراهُ في رفقائهِ من الالم. وقد اعتني في برمبتون بالف وخمس مئة مسلول مدة عشرين سنة ولم يعدّ منهم طبيبٌ ولا خادمٌ ولا ممرض وهذا الامر شهد بصحتهِ كثيرون من الاطباء الذين يوثق بصدقهم

ايها السادة لما اقترح عليَّ أن اذكر الاساليب التي تذرَّعتْ بها الامم لمقاومة السل سُئلتُ

ايضاً ان انظر في المسألة من وجهٍ دولي . فلا اظن انهُ يسعنا ان نعامل السل كما عُومل الطاعون والهواء الاصفر والحمّى الصفراوية لمنع دخوله الى البلاد . ولا ادري كيف يستطيع احد من الاطباء ان يجزم بان هذا المسافر او ذاك غير مصاب بداء السل . لكنهُ قد يمكننا اتخاذ وسائط عامة من جهة أُخرى وذلك بان تُطهر مركبات سكك الحديد والسفن والفنادق من العدوى حتى يأمن المسافر جراثيمها وهذا من التدابير الدولية وقد ارسل مؤخراً وزير الاشغال العمومية في فرنسا منشوراً الى اصحاب السكك الحديدية يدعوهم الى وجوب التحفظ لمنع خطر العدوى بالسل . وعلى اصحاب الفنادق في بلدان كثيرة ولا سيما في الولايات المتحدة ان يخبروا البلدية بكلّ مسلول نزل عندهم . ويطهروا غرفتهُ عند خروجهِ منها . على ان وزير داخلية المانيا زاد في التشديد بان أوجب على كل طبيب شاهد حادثة من سل الرئة او سل الحنجرة ان يخبر البوليس كتابة حالما ينتهي من تشخيص المرض . وبعد الموت بالسل ينبغي ان تطهر الغرفة التي كان فيها المسلول وكل امتعتهِ . وعلى اصحاب الفنادق والمنازل والملاجىء وغيرها من الاماكن العمومية ان يعلنوا في الحال كل حادثة من هذا النوع تعرض في مساكنهم

وإخبار الحكومة والتطهير ومراعاة الشروط الصحية في الفنادق والمركبات والبواخر مسائل عامة ينبغي الالتفات اليها من جميع الأُمم . والامر الذي ينبغي ان نستفيدهُ من تضافر كل الامم على مناصبة هذا الداء هو انهُ يجب علينا ان نُعلن في احاديثنا ومطبوعاتنا العمومية ونشراتنا الخصوصية ان السلّ يمكن تجنُّبهُ وان المصاب بهِ يمكن شفاؤهُ . والوسائط المتخذة الآن لمقاومة هذا الداء الوبيل ستزداد على توالي الايام قوة وانتشاراً ولا تبقى محصورة في ايدي بعض الجمعيات بل يعمُّ الاحتفال بها والتعويل عليها من جميع الحكومات وسائر الشعوب ولنا مذ الآن ان نتنبأ ان العالم المتمدن سيتحد بنفسٍ واحدةٍ ورأيٍ واحدٍ ويتوفق اخيراً الى استئصال شأفة هذا البلاء

ايها السادة قلت منذ عشر سنين في مؤتمر الصحة في لندن ما يأتي :

" ان قرناً يستطيع المرء ان يكتب في اولهِ اسم جنَّر وفي اخرهِ اسم باستور لحريٌّ بان يسرّ بهِ نوع الانسان لانهُ تمّ فيهِ مما يزيل الشقاء والمرض والموت اكثر مما تمّ في كل عصر من العصور التي تقدمتهُ " . فالفخر للقرن التاسع عشر ولكن القرن الذي ابتدأ حديثاً رأى في سنتهِ الاولى اعظم عملٍ عُمل لاجل الصحة العامّة . فعسى ان لا نجد في طريقنا ما يعوقنا وعسى الذين يخلفوننا في اواخر القرن العشرين ان يشهدوا بان اتعابنا لم تذهب سدًى وان نتائج مساعينا جاءت وفق مشتهى الامم التي مثلتموها ايها السادة باجتماعكم في هذا المكان لاشرف غاية خطرت على بال انسان